موقف الولايات المتحدة الأمريكية من مطالب إيران في مؤتمر الصلح وعقد معاهدة ١٩١٩ مع بريطانيا

أ. م. د. نزار كريم جواد الربيعي
وزارة التربية / كلية التربوية المفتوحة
nazarsant.2011@gmail.com

الملخص:

يعد مؤتمر الصلح في باريس الذي عقد سنة ١٩١٩ واحداً من أهم المؤتمرات الدولية التي وضعت خطة عمل لتسوية المشاكل التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، وشاركت فيه اثنين وثلاثين دولة من الدول المنتصرة في الحرب، كما شارك فيه عدد من الدول المستقلة ووفود أخرى غير رسمية كان من بينها الوفد الإيراني الذي حمل معه مطالب سياسية واقتصادية وأخرى تتعلق بإعادة حدود بلاده، إلا أن بريطانيا لم تسمح للوفد الإيراني أن يوصل مطالبه الى الرئيس الأمريكي ودرو ولسن الذي طرح في هذا المؤتمر مبادئه الأربعة عشر، وبدلاً من ذلك سعت بريطانيا لعقد معاهدة آب ١٩١٩ مع إيران لتحويلها الى مرتكز لها في منطقة الخليج العربي، الأمر الذي كان للإدارة الأمريكية موقفها منها.

The position of the United States of America on Iran's demands at the peace conference The Treaty of 1919 with Britain

Assistant Professor. Dr. Nizar Karim Jawad Al-Rubaie
College of Open Education / Ministry of Education
nazarsant.2011@gmail.com

Abstract:

The Peace Conference in Paris, which was held in 1919, is considered one of the most important international conferences that laid out a plan of action to settle the problems left by the First World War. Thirty-two of the victorious countries in the war participated in it. A number of independent countries and other unofficial delegations participated in it. Including the Iranian delegation, which carried with it political, economic and other demands related to the return of his country's borders, but Britain did not allow the Iranian delegation to convey its demands to the American President Woodrow Wilson, who presented in this conference his fourteen principles, and instead Britain sought to conclude the August 1919 treaty with Iran To turn it into a base for it in the Arab Gulf region, which the US administration had its position on it.

إشكالية البحث :

طرح البحث جملة تساؤلات أبرزها :

هل حقق مؤتمر الصلح مطالب الوفد الإيراني أم لا ؟

أهم الأسباب التي حالت دون تحقيق مطالب الوفد الإيراني.

هل نجحت بريطانيا في تحرير معاهدة آب ١٩١٩ مع إيران ؟

ما دور الولايات المتحدة الأمريكية في إفشال المعاهدة البريطانية – الإيرانية سنة ١٩١٩.

فرضية البحث :

يفترض البحث عدم تحقيق إيران لمطالبها في مؤتمر صلح باريس، وفشل محاولات وفدها باللقاء مع الرئيس الأمريكي ودرو ولسن وأسباب ذلك، فضلاً عن دور الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من معاهدة آب ١٩١٩ بين بريطانيا وإيران، لتكون إيران أكبر الخاسرين في مؤتمر الصلح ومعاهدة ١٩١٩ مع بريطانيا.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في أنه يسلط الضوء على التمثيل الإيراني في مؤتمر الصلح وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منه، وعقد المعاهدة البريطانية – الإيرانية وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منها.

أهداف البحث :

يهدف البحث في تبيان دور الدول الكبرى في تجاهل مطالب الدول الصغرى، رغم أنها كانت مطالب موضوعية ومعقولة وواقعية ودور بريطانيا في توجيه المؤتمرين لعدم الاستماع لمطالب الإيرانيين، فضلاً عن توضيح موقف الولايات المتحدة

الأمريكية من محاولات فرض بريطانيا هيمنتها على إيران عن طريق ربطها بمعاهدة جائرة سنة ١٩١٩.

المنهج المتبع :

تم اتباع التاريخ الوصفي في عرض الأحداث، مع استخدام المنهج التحليلي لتسليط الضوء على ما طرح في هذا المؤتمر ومطالب الوفد الإيراني، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه المطالب، وعقد المعاهدة الإيرانية – البريطانية التي عبرت عن الرغبة البريطانية في تكبيل إيران، والتأكيد على أهمية المنهج التاريخي في فهم الأحداث والربط بين مسبباتها ونتائجها ربطاً علمياً جدلياً.

الهيكلية :

تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة. تطرق الفصل الأول الى حيثيات مؤتمر الصلح في باريس وانعكاساته على إيران، في حين تخصص الفصل الثاني الى مشاركة الوفد الإيراني في المؤتمر وعقد المعاهدة البريطانية – الإيرانية، وركز الفصل الثالث على موقف الولايات المتحدة الأمريكية من توقيع بريطانيا لمعاهدة ١٩٩١ مع إيران ودور الإدارة الأمريكية في إفشالها ومنع المجلس النيابي الإيراني الرابع من تصديقها وتوصلت الخاتمة الى مجموعة من الاستنتاجات التي ثبتت في نهاية البحث.

الفصل الأول

مؤتمر صلح في باريس عام ١٩١٩ وانعكاساته على إيران

انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ بانتصار دول الحلفاء التي ضمت كل من فرنسا وروسيا القيصرية وبريطانيا ومن ثم انضمت إليها الولايات المتحدة الأمريكية

على دول الوسط التي ضمت ألمانيا وامبراطورية (النمسا والمجر) والدولة العثمانية، وبالرغم من أن شعوب أوربا وشعوب العالم الأخرى توقعت زوال وانتهاء الحرب التي دامت من المدة (١٩١٤ – ١٩١٨) سيؤدي الى بداية مرحلة جديدة من السلام، إلا أن ذلك لم يتحقق لأن انتهاء الحرب زرعت بذور حرب أخرى جديدة لما صاحبها من ويلات لاحقة نتيجة للقرارات المجحفة التي اتخذت بحق الدول المهزومة، وعدم تلبية نتائجها لآمال الشعوب الأخرى وطموحاتها(الأيوبي وآخرون، بلا تاريخ، ص٦٢٥).

تركت هذه الحرب ورائها ثلاث قوى رئيسة لم تكن راضية عن نتائجها وهي ألمانيا التي كانت مهزومة في الحرب وذاقت مرارة الهزيمة وفرضت عليها تعويضات وغرامات قاسية، وإيطاليا التي لم تكن راضية عن مكاسبها من الأراضي والتي كانت من وجهة نظرها دون مستوى التوقعات، وأخيراً اليابان التي لم تكن بلداً غير خاسراً للحرب، لكنه لم يحصل على ما كان يسعى إليه من الأراضي الصينية(لانفر، ١٩٨٠، ص١٤).

لم تكن الحرب العالمية الأولى وليدة يومها كما يظن البعض، بل كانت النتاج الطبيعي للتناقضات العميقة للرأسمالية في مرحلتها الاستعمارية وانعكاساً لأزمة الرأسمالية بشكل عام، وللتنافس بين الدول الرأسمالية وسعيها لإعادة تقسيم المستعمرات بين هذه الدول ومطالبتها بأن يكون التوزيع وفقاً لقوتها الاقتصادية والعسكرية(ديبورن، بلا تاريخ ، ص١٣). وعندما انتهت هذه الحرب أجبرت ألمانيا على الاستسلام والتوقيع على معاهدة (فرساي) (Treaty of Versailles) وما تبعها من اتفاقات في العام ١٩١٩، كما أنها كانت سبباً في ولادة الضغينة والكراهية لدى الشعب الألماني لكل

الذين فرضوا أو كانوا طرفاً في فرض المعاهدات الجائرة عليها(تشرشل، بلا تاريخ، ص٧).

كان على الدول المنتصرة البحث عن إطار يحقق لها أهدافها، فعقد مؤتمر في العاصمة الفرنسية (باريس) في الثامن عشر من كانون الثاني ١٩١٩ لوضع خطة عمل شاملة لتسوية المشاكل التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، وشارك فيه (٣٢) دولة من الدول الحليفة والدول التي شاركت في الحرب، وتم استبعاد الدول المحايدة وروسيا من المشاركة في المؤتمر، كما شارك فيه عدد من الوفود غير الرسمية لدول مستقلة، وقد استهدف هؤلاء مقابلة الزعماء والرؤساء المشتركين في المؤتمر لعرض مشاكلهم القومية عليهم وكسب عطفهم(الأيوبي و آخرون ، بلا تاريخ، ص٦٣٢).

اشتركت إيران بوفد رسمي استهدف طرح القضية الإيرانية القومية طالباً النظر فيها بعد أن تحولت الأراضي الإيرانية الى ساحة تنافس وصراع بين الألمان والبريطانيين والدولة العثمانية وروسيا القيصرية، فقد واصل الروس تعزيز وجودهم في شمال إيران بحلول سنة ١٩١٤، وانهمك الرعايا الروس في شراء الأراضي في مدينة أذربيجان(Amirsadeghi,1977, PP.115-116). كما أرسل البريطانيون وحدات عسكرية الى شيراز بحجة حماية أرواح رعاياهم والممتلكات البريطانية، وعززوا من وجودهم في منطقة الأحواز بسبب ما تمتلكه هذه المنطقة من ثروات نفطية هائلة(سترنك، ١٩٨٣، ص٢٠٨-٢٠٩).

كان للعملاء الألمان دورهم في التحرك داخل إيران، وتمكنوا من استقطاب العديد من الإيرانيين لتأييد ألمانيا، وعقدوا علاقات مع بعض الأحزاب الإيرانية مثل الحزب الديمقراطي الذي فاز بسبب دعم الألمان الموجودين في إيران له بأغلبية مقاعد

مجلس النواب الإيراني عام ١٩١٥ * (أبو مغلي، البصـــرة، ١٩٨٣، ص١٠-١٣). ونجح الألمان والعثمانيون في تشكيل حكومة إيرانية معادية للحلفاء في مدينة (قـــم المقدسة)، وتم نقل مقرها المؤقت الى مدينة كرمنشاه وذلك لتتمكن من الاعتماد على حماية القوات العثمانية القريبة منها في العراق، وأصبح نظام السلطنة حاكم لرستان رئيساً لها، فعقدت مع ألمانيا معاهدة تحالف لقاء وعود ألمانية بتقـــديم المســـاعدات المالية والعسكرية لها، وتم افتتاح مفوضية ألمانية في مدينة (كرمنشاه)، وأرســـلت ألمانيا بعثة عسكرية الى هذه المدينة لتدريب قوات حاكم لرستان، كما أرسلت ألمانيا بعثة عسكرية لتدريب قوات الحرس الإيراني (الدرك) دون أن تعارضها الحكومة الإيرانية، وتمكنت هذه البعثة من طرد وأسر القناصل البريطانيين في المناطق التـــي تواجد فيها الألمان(Novo, 1970, P.96).

ولمواجهة هذا الخطر الناجم عن الوجود الألماني في إيران أرسلت حكومـــة الهنـــد البريطانية ممثلها برسي سايكس (Percy Sykes) الى إيران لإنشاء قوة عسكرية في إيران تحل محل قوات الدرك الإيرانية الموالية للألمان عرفت باسم ((بنادق جنوب فارس)) (South Persia Rifles) (سلمان، ١٩٩٧، ص٦٣-٧٠) وكانت قـــوات متطوعين قوامها خمسة آلاف رجل، فتمكنت هذه القوة بحلـــول ســـنة ١٩١٧ مـــن السيطرة على مدن كرمان ويزد وأصفهان وشيراز ومناطق أخـــرى. كمـــا شـــنت هجمات على القبائل الموالية للألمان من التي تم أغرائهم بالمال والسلاح للوقوف الى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وأدت هذه الهجمات الى تشتيت هذه القبائل ومعهم الدرك والعناصر الموالية لألمانيا، كما تمكنت (قوة جنـــوب فـــارس) مـــن

* تأسس الحزب الديمقراطي سنة ١٩٠٨ وعرف باسم (حزب ديموكرات عاميون)، وكانت مبادئ الحزب إصلاحية، وضم معظم الكتاب والشعراء والمثقفين

مطاردة العملاء الألمان الذين كانوا يجوبون المدن الإيرانية الواحدة تلو الأخرى ويبثوا الإشاعات ضد الحلفاء وكانوا يدعون بأن بريطانيا ستخسر الحرب، وعلى الإيرانيين الانضمام الى جهد الألمان الحربي لأنهم سينتصرون في الحرب، وسيصبحون حلفاء لإيران(شويل، ١٩٨٥، ص٩٢-٩٣).

يعد وليم واسموس (W. Wassmuss) (Sykes, 1936, PP.22-25). أبرز الوكلاء والعملاء الألمان في إيران خلال الحرب العالمية الأولى، فقد تمكن بفضل كونه قنصل ألماني سابق في ميناء بوشهر الإيراني من إثارة قبائل إيران الجنوبية ضد بريطانيا وتهديد مصالح البريطانيين، لاسيما شركة النفط الأنكلو – فارسية(خالد، ١٩٩١، ص٧٠-٧٥) التي كانت تهيمن على النفط الإيراني في الأحواز، واستطاع أن يكسب معظم زعماء القبائل الموجودين هناك الى جانب بلاده وتمكن من تزويدهم بالسلاح والأموال لمواجهة البريطانيين، وأثر حتى على رجالات الحكم في إيران لكي يساندوا الجهد العسكري الألماني، الأمر الذي دفع البريطانيين لوضع جائزة ومكافأة نقدية لكل من يخبرهم عن مكانه لأنه كان ينتقل بسرعة كبيرة من منطقة إيرانية لأخرى، ويختفي بين الإيرانيين كونه يجيد اللغة الفارسية وله علاقات واسعة مع القيادات العشائرية التي كان يتحرك بينها(لنشوفسكي، بلا تاريخ، ص٨٩).

بالمقابل تمكن الروس من احتلال المناطق الشمالية من إيران، وحاولوا منع أي تقدم للقوات المعادية لهم، وجرت حركات للجيش الروسي داخل العراق لمنع العثمانيين من السيطرة على مناطق إيرانية محددة، وتمكن الروس من السيطرة على ثلاث مدن عراقية هي خانقين والسليمانية وراوندوز كون هذه المناطق استراتيجية ويمكن أن يستخدمها الجيش العثماني المعادي لهم للدخول منها الى إيران(نديم، ١٩٦٧، ص١٤-١٥).

وهكذا تحولت إيران الى ميادين حرب وصراع بين الأطراف المتحاربة التي لم تحترم الحياد الذي أعلنته الحكومة الإيرانية، فقد رفضت الدولة العثمانية الاعتراف بحياد إيران طالما كانت القوات الروسية تحتل مدن إيران الشمالية، كما لم تعترف بريطانيا بالحياد الإيراني، وأنزلت قواتها في ميناء بوشهر في الثامن من آب ١٩١٥، وأرسلت بريطانيا قوة للمحافظة على آبار النفط في عربستان ومصافي النفط الحديثة في عبادان خوفاً من قيام واسموس والعملاء الألمان بتفجيرها، وخشيت بريطانيا من تدفق العملاء الألمان الى إيران من أجل إثارة الإيرانيين ضد بريطانيا وروسيا اللذان يراهما الإيرانيون أعداء لهم بسبب قيامهما قبيل الحرب العالمية الأولى بتقسيم إيران الى مناطق نفوذ لهما* .(Browne, 1960, PP.122-125)، واضطر البريطانيون الى إقامة مراكز عسكرية لهم على الحدود الإيرانية – الأفغانية خوفاً من تسرب العملاء الألمان الى أفغانستان أو الهند وتحريض سكانهما ضد بريطانيا، وعرفت تلك المراكز باسم ((نطاق شرق إيران)) (The East Persian Cordon)، ومع أن بعض أن بعض الوكلاء الألمان اخترقوا هذا النطاق وبلغوا مدينة (كابل) ألا أنهم فشلوا في إقناع الأفغان للوقوف الى جانبهم، فلم يتمكنوا من التأثير على الأفغان مثلما أثروا على الإيرانيين.(Afsher, 1969, P.77).

وهكذا أضحت إيران دولة تحتلها جيوش الحلفاء وتعبث بمقدراتها حركات الوكلاء والعملاء الألمان دون أن تتمكن حكومتها من فعل شيء لهذه التحركات الأجنبية، فانعكس ذلك سلباً على أوضاعها العامة، فلا سيادة للدولة الإيرانية، وكانت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية لا تقل سوءاً، فكانت آثار الحرب العالمية الأولى

* ونقصد بها اتفاقية عام ١٩٠٧ التي قسمت إيران الى منطقتين الشمالية ومنحت لروسيا والجنوبية التي منحت لبريطانيا وتم إبقاء العاصمة طهران كمنطقة حياد بينهما

عليها كارثية، وعانى الشعب الإيراني من شظف العيش، والفقر والجوع والجهل، وتحول المجلس النيابي الى مجرد اسم بلا مسمى، وتدمرت مؤسساتها وبناها التحتية، وتوقف تصديرها للبضائع وأضحى الفلاح والعامل الإيراني بلا عمل لأن الأراضي الزراعية تدمرت وتوقف الإنتاج الحرفي(الربيعي، ٢٠٠٤، ص٣٢-٣٦).

وهكذا ترتب على إيران بسبب الحرب العالمية الأولى وخرق حيادها من الدول المتحاربة آثاراً خطيرة مادياً وبشرياً، ففرضت أعمال السخرة على الإيرانيين، وسخرت موارد البلاد وإمكاناتها ومواردها لاحتياجات الأطراف المتحاربة، واضطر الناس لبيع حاجياتهم المنزلية لسد أود أطفالهم وصاحب ذلك اضطراب تجارة إيران الخارجية بسبب الحرب، وتفشت المجاعة بين صفوف الإيرانيين، لاسيما أثناء القحط في سنوات ١٩١٧- ١٩١٨ حتى اضطر الناس المعدمون الى أكل لحوم الحيوانات، وقدرت إحدى المصادر إجمالي خسائر إيران في الحرب العالمية الأولى بنحو مئات البشر وما قيمته مليون تومان من الخسائر المادية(مراد، ١٩٩٢، ص١٠٩).

شهدت السنتين الأخيريتين من الحرب انفراد بريطانيا بنفوذها في إيران بسبب قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا القيصرية وتولي البلاشفة (Ramazani, 1973, PP.141-142) مقاليد الحكم فيها، فتخلت السلطة الجديدة عن جميع المعاهدات والامتيازات التي فرضتها الحكومة القيصرية السابقة على إيران وأبلغت الحكومة الروسية الجديدة إيران بذلك(الصراف، ١٩٩١، ص٥٨)، وخرجت من الحرب، فأصبح لزاماً على بريطانيا أن تأخذ مكان الروس في الهيمنة على إيران ومحاولة جعل الحكومة الإيرانية موالية لها بدلاً من موالاتها للألمان الذين كانوا على وشك، ومعهم الدولة العثمانية، الهزيمة في الحرب العالمية الأولى، وإعلان انتهاء الحرب

العالمية الأولى بانتصار الحلفاء وهزيمة دول الوسط فيها(شويل، ١٩٨٥، ص١١٤-١١٥).

وهكذا خرجت إيران من الحرب العالمية الأولى وحكومتها لا تملك من أمر بلادها شيئاً وجيشها مفكك ولا يزيد عن بضعة مجاميع ضعيفة التسليح وجندرمتها ممزقة ولم تستلم رواتبها لأشهر عدة، واقتصادها منهار، وتجارها مفلسون، وأعلن صناعيوها أفلاسهم، وسرحوا عمالهم، وافترش الفقراء الأرض، وازداد خط الفقر فيها الى درجة كبيرة، وتوقف عمل المجلس النيابي، ولم يعقد اجتماعاته الدورية بسبب عدم وجود الألمان في البلاد، وانتشرت عصابات السرقة والإجرام، وتوقفت حركة البيع والشراء، وكانت القوات المتحاربة تستولي على المواد الغذائية لقواتها دون أن تعير الإيرانيين اهتماماً(Upton, 1980, PP.70-71)، وفي ظل هذه الحالة البائسة التي شملت معظم القطاعات الحياتية في البلاد، انتهت الحرب العالمية الأولى وبدأ الحلفاء بترتيب أوضاعهم وإجراء التسويات لصالحهم، وتخلصت دول العالم من شبح الحرب، واعتقد الإيرانيون أنهم قد يهيأوا أنفسهم لمرحلة جديدة، فأرسلوا وفدهم الى مؤتمر السلام في باريس وكلهم أمل للحصول على ضمانات دولية لاستقلالهم وسيادتهم).(Wilber, 1090, P.60).

الفصل الثاني

مشاركة الوفد الإيراني وتمثيله في المؤتمر وعقد المعاهدة البريطانية – الإيرانية في عام ١٩١٩

كان الوفد الإيراني الذي ذهب الى باريس للمشاركة في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ يأمل أن يحصل الإيرانيون على ما كانوا يطمحون إليه من خروج القوات البريطانية من أراضيهم ويحصلوا على استقلالهم ويشكلوا حكومة وطنية قادرة على بناء اقتصاد

متين وتحقق لهم سيادة ويعود المجلس النيابي الإيراني الى سابق نشاطه عبر وصول شخصيات معروفة بولائها لإيران ومن خلال انتخابات ديمقراطية حرة(أصفهاني، ١٣٧١ ش، ص٩٨ – ٩٩).

بالمقابل حاولت بريطانيا منع مشاركة الوفد الإيراني في المؤتمر بكل الوسائل لأنها كانت ترغب بابقائها تحت الهيمنة البريطانية، وكانت تسعى لمنع هذا الوفد حتى الاتصال بالرؤساء أو زعماء الدول التي حضرت مؤتمر الصلح، لاسيما الرئيس الأمريكي ودرو ولسن (W.Wilson) الذي طرح مبادئه الأربعة عشر(محمد، ١٩٩١، ص٣ – ١٠)، ولاسيما مبدأ حق تقرير المصير للشعوب(Ramazani,1973, P.164).

ولتحقيق الهدف البريطاني في أبعاد الوفد الإيراني عن المشاركة في المؤتمر طلبت حكومة لندن من إيران الانتظار الى ما سيتوصل إليه المؤتمر من نتائج وطرحت بريطانيا بعض البنود أمام الحكومة الإيرانية وعليها القبول بها، كما أدعت بأنها شروط جاءت لتبديد شكوك إيران ومخاوفها من بريطانيا، ولاثبات (حسن نية) بريطانيا، وإذا ما رفضت الحكومة الإيرانية هذه البنود فإن بريطانيا سوف لا تقدم أي مساعدة لإيران (F. O., 371/3858, From : Earl Curzon, To : Percy Cox, 11/1/1919,P25).

تضمنت البنود البريطانية ما يلي(الوندي، ١٩٥٦، ص٩٣ – ٩٤) :

- تجديد الضمانات والتأكيدات بشأن احترام بريطانيا (لاستقلال وسيادة إيران).
- إلغاء المعاهدة البريطانية – الروسية لعام ١٩٠٧.

- إنشاء قوات موحدة مع قوات بنادق جنوب فارس البريطانية في المناطق الجنوبية من إيران.

تعيين خبير مالي بريطاني لإيران.

سحب القوات البريطانية من المناطق التي تسيطر عليها إيران في حالة انتفاء الحاجة لها.

مثلت هذه البنود قيداً ثقيلاً على الحكومة الإيرانية، وكان هدف بريطانيا منها هو إطلاق يدها حرة في إيران، ومنع الوفد الإيراني من الحصول على أي وعد أو مكاسب جراء طلباته التي جاء بها الى المؤتمر والتي تمثلت بمطالب سياسية واقتصادية ومطالب تتعلق بتعديل حدودها مع روسيا(lson, 1955, P.120).

تمثلت مطالب الوفد الإيراني السياسية التي جلبها الى مؤتمر الصلح في باريس بالرغبة في إلغاء المعاهدة البريطانية – الروسية لعام ١٩٠٧، وحل المحاكم القنصلية والحرس القنصلي الأجنبي في إيران والتعهد من المؤتمرين وموقعي معاهدة السلام بضمان الاستقلال السياسي لإيران، أما المطالب الاقتصادية فقد ركزت على إلغاء الامتيازات الأجنبية كافة، ومنح الحرية الاقتصادية لإيران من خلال إلغاء السيطرة الأجنبية على مقدرات البلاد المالية، وإعادة النظر في التعريفة الكمركية عن طريق عقد اتفاقيات تجارية جديدة وفق مبدأ حرية التجارة لإيران، فضلاً عن ذلك تعويض الأخيرة عن الخسائر التي نجمت عن وجود القوات الأجنبية في البلاد، بما في ذلك إصلاح وإعمار المناطق المتضررة والبنى التحتية المدمرة والناجمة عن العمليات العسكرية للجيوش الأجنبية المحتلة لإيران(أبو مغلي، ١٩٨٢، ص٤٣ – ٤٥).

أما مطالبة الوفد الإيراني بتعديل حدوده فكان يتضمن إعادة النظر في الحدود الإيرانية – الروسية التي تقع في مناطق ما وراء القفقاس، بما فيها أذربيجان الشمالية وعاصمتها (باكو)، وأرمينيا الغربية ومدينة يريفان وقره باغ وقسم من داغستان، وطالبت إيران بالمناطق الممتدة من آسيا الصغرى الى نهر الفرات، أي المنطقة التي تضم كردستان والموصل. (M. E. Yapp, Iran 1900 – 1921, New York, N. D., P.20.)

لم تكن بريطانيا على استعداد لقبول المطالب الإيرانية المقدمة الى مؤتمر الصلح في باريس لأنها كانت تعني أن إيران تخطط للحصول على الدعم وذلك بمناشدتها للمؤتمر وفي حالة تعاطف المؤتمرين مع مطالبها، فإن ذلك يعني تغيير الوضع البريطاني في إيران، وانطلاقاً من ذلك قدمت بريطانيا مذكرة أشارت فيها بالتفصيل الى سياستها في إيران وأكدت فيها(مشكور، ١٣٧٢ ش، ص٣٧٨-٣٧٩) : ((يكمن موقف الحكومة البريطانية في عدم قبول إيران في مؤتمر السلام وضرورة أبعادها عن أي مناقشة هناك، بوصفها دولة لم تشارك في الحرب العالمية الأولى، ولكي تصبح بريطانيا حرة في تعاملها مع الحكومة الإيرانية بعد الحرب، وأن كان ذلك لا يتلائم مع المواقف السوفتيية))، فأيدت فرنسا ((الموقف البريطاني للوقوف بوجه (الاتحاد السوفيتي)* (فاسيليف، ١٩٩١، ص٧٣). وإبعاده عن إيران)) (العلي، ١٩٨٤، ص٢٨).

لم تكن هذه الحجج البريطانية سوى غطاء وستار لأخفاء حقيقة نوايا بريطانيا وخططها بشأن تحويل إيران الى محمية بريطانية، فقد زادت أهمية إيران

* كانت في هذه المدة تسمى روسيا السوفيتية ولم يصبح الاتحاد السوفيتي إلا في عام ١٩٢٢ عندما أعلن عن تأسيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

الاستراتيجية في المدرك البريطاني ليس بسبب مواردها النفطية الكبيرة فحسب، بل بسبب التطورات التي شهدتها روسيا بعد قيام ثورة أكتوبر فيها، فقد اندلعت الحرب الأهلية هناك بين البلاشفة وبين أعدائهم من القوى المضادة لهم داخل روسيا وقد حصل هؤلاء على دعم الدول الغربية من أجل الإطاحة بالبلاشفة(هيروتز، ١٩٧٣، ص٥١ – ٥٢).

وجدت بريطانيا في إيران طريقاً مهماً لإرسال بعثات ووحدات عسكرية داخل الأراضي الروسية لغرض مساعدة أعداء الثورة الروسية كما تطلعت بريطانيا الى جعل شمال إيران نقطة انطلاق لها نحو مناطق القفقاس وما وراء قزوين وحتى نحو آسيا الوسطى وهي جميعاً مناطق مغرية من وجهة نظر اقتصادية واستراتيجية(شويل، ١٩٨٥، ص١١٤ – ١١٥).

بالمقابل برر وزير الخارجية البريطانية اللورد كرزون (Lord Curzon) سعي بريطانيا الى تحويل إيران الى محمية بريطانية وعدم السماح لوفدها بعرض وجهة نظره ومطاليبه في مؤتمر الصلح في باريس بالقول : ((نحن لا نستطيع أن نسمح بوجود مرتع لسوء الحكم ودسائس العدو وفوضى مالية واختلال سياسي بين حدود الإمبراطورية الهندية ومحميتها الجديدة [العراق]، فضلاً عن ذلك فإننا نملك في الزاوية الغربية الجنوبية في إيران موجودات ضخمة على شكل حقول نفط تعمل لحساب الأسطول البريطاني، وتمنحنا نفوذاً في ذلك الجزء من العالم)) (F. O., 371/2521, From : Earl Curzon, To : Percy Cox, 15/1/1919, P.).

كان من الطبيعي في ظل هذه التصورات التي عبر عنها بصراحة وزير الخارجية البريطاني أن تسعى بريطانيا بكل جهدها من أجل أن لا يستمع الحاضرون في

مؤتمر السلام لوجهة النظر الإيرانية لأنها خططت لأن تحول إيران الى مرتكز لتحقيق استراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط عامة ومنطقة الخليج العربي خاصة، لذلك منعت الوفد الإيراني من أن يلتقي بالرئيس الأمريكي ودروولسن وغيره من الزعماء والرؤوساء الحاضرين رغم محاولة الرئيس الأمريكي في ثلاث مناسبات الاستماع الى الوفد الإيراني، إلا أن بريطانيا عارضت ذلك بحجة أن الإيرانيين ليسوا شعباً خاضعاً، وأن إيران لم تكن طرفاً في الحرب العالمية الأولى ولم تشترك الى جانب الحلفاء في العمليات الحربية(مراد، ١٩٩٢، ص١٠٩).

كانت إيران تمثل لبريطانيا مصدراً من مصادر تزويدها بالنفط الذي تم اكتشاف كميات كبيرة منه في منطقة الأحواز، وأزدادت أهميته أثناء الحرب العالمية الأولى، وأكد ونستون تشرشل (W. Churchill) وزير البحرية أن هذه المادة مهمة لبريطانيا في وقت الحرب والسلم لاسيما بعد تحويل الأسطول البريطاني الى الاعتماد على النفط بدلاً من الفحم، فاتجهت البحرية البريطانية نحو شركة النفط الإنكليزية – الفارسية(علي، ١٩٥٩، ص٤٣ – ٥٠) التي كان لها آبار متدفقة وخط أنابيب ومصفاة تعمل بكامل طاقتها في الأحواز، وقد تشكلت لجنة ملكية للبحث عن إمداد البحرية البريطانية بالنفط، وأرسلت اللجنة ممثلون عنها لتفقد عمليات الشركة البريطانية في إيران، فتعاقدت اللجنة مع الشركة لمدة (٢٢) سنة وبموجب ذلك حصلت بريطانيا على (٥١%) من أسهم الشركة، وهكذا أصبحت مصالح الشركة مرتبطة بالمصالح البريطانية ارتباطاً وثيقاً، وكانت هذه الشركة مدعومة من الحكومة البريطانية، وبفضلها أصبحت إيران بعد الحرب العالمية الأولى رابع أكبر منتج للنفط بعد الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفنزويلا(ستورك، ١٩٧٤، ص١٢ – ١٣).

أدركت بريطانيا أن إيران لا تمثل لها مرتكزاً للهيمنة على النفط وتزويدها به فحسب، وإنما عليها تحويل هذا البلد الى دولة حاجزة ضد روسيا لكي تتلافى الخطر البلشفي الذي لم يتم القضاء على سلطته في روسيا، كما أن أهمية إيران عدت خطاً دفاعياً عن الوجود والمصالح البريطانية في الهند الذي استمر قائماً في أذهان مخططي السياسة البريطانية تجاه إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ولسنوات طويلة(Afshar, 1970, P.37).

الفصل الثالث

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من توقيع بريطانيا لمعاهدة ١٩١٩ مع إيران

تعاطف الرئيس الأمريكي ودرو ولسن مع مطالب الوفد الإيراني الذي حضر مؤتمر الصلح في باريس لأن المبادئ الأربعة عشر الذي طرحها في المؤتمر كانت تتناغم مع رغبات الوفد الإيراني وطلباته التي جاء بها الى المؤتمر، لاسيما فيما يخص حق تقرير المصير الذي كان أحد البنود التي جاء بها ولسن الى المؤتمرين، كما أن الإيرانيين كانوا تواقين للتخلص من الامتيازات الأجنبية في بلادهم والتي منحت للدول الأجنبية، لاسيما بريطانيا وروسيا في مراحل سابقة من التاريخ الإيراني الحديث(أوسطي، ١٣٧١ش، ص٥٥ – ٦٠).

كانت إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تابعة للنفوذ البريطاني لأن روسيا بعد قيام الثورة البلشفية فيها تخلت عن جميع امتيازاتها في إيران التي حصلت عليها أثر حروبها من القاجاريين*(نجاتي، بلا تاريخ، ص٣٥ – ٣٨) وانتصارها عليهم، فتخلت السلطة الجديدة في روسيا عن جميع المعاهدات والامتيازات التي فرضها

* أسرة تركمانية حكمت بلاد فارس منذ سنة ١٧٩٦ واستمرت في الحكم حتى سنة ١٩٢٥ عندما أطاح رضا خان بانقلاب عسكري بآخر شاه قاجاري وهو أحمد شاه وتسنم الحكم بدلاً منه

الحكومة القيصرية السابعة على إيران، وأبلغ وزير الخارجية الروسي جيجرين (Checherin) الحكومة الإيرانية بذلك فبقيت إيران أسيرة للنفوذ البريطاني الذي كان يخطط لمنع أي قوة دولية أخرى منافستها على وجودها في إيران، لاسيما أن شركتها الأنكلو – إيرانية كانت مهيمنة على نفط جنوب إيران ومستولية على اكتشافه وإخراجه وتصديره، ولم تكن تعطي للحكومة الإيرانية إلا مبالغ قليلة لا تساوي شيئاً أمام أرباحها(زادة، ١٣٧٢ش، ص١٢٠ – ١٢١).

كانت بريطانيا تعد إيران مرتكز مهم لها بسبب وجود النفط فيها، فضلاً عن كونها دولة محايدة للاتحاد السوفيتي، ومحاولة منع الأخير من مد نفوذه الى المناطق الشمالية من إيران لم تشترك في الحرب فعلياً، وكانت مرتعاً خصباً للعملاء الألمان الذين كانوا يتابعون تحركات الحلفاء في البلاد ويوصلون الأخبار والمعلومات الى الألمان(طهراني، ١٣٧٣ش، ص١٨١ – ١٨٢).

ولتشديد قبضتها على إيران اقترحت بريطانيا على رئيس الوزراء الإيراني حسن وثوق الدولة* (بيكرلي، ١٤٠٠ش، ص٥٣ – ٥٦) و (البديري، ٢٠١٠، ص١٢٠ – ١٢٢). عقد معاهدة سنة ١٩١٩ تجعل من أوضاع إيران السياسية والاقتصادية والعسكرية بيدها، فوافق وثوق الدولة عن عقدها بعد مفاوضات سرية عقدها بفضل الدور الذي قام به وزير الخارجية البريطاني اللورد كرزون (Lord Curzon)،

* ولد سنة ١٨٨٠ في طهران من أسرة قاجارية كانت والدته (طاووس خانم) ووالده هو (قوام الدولة)، درس في الكتاتيب على يد الميرزا إبراهيم جلوة، وكان يجيد اللغة الإنكليزية والفرنسية. كان أول ظهور سياسي له عندما أصبح والياً لأذربيجان خلفاً لوالده. وكانت له علاقات واسعة مع الإنكليز. أصبح رئيساً لهيئة الإدارة في طهران. واستوزر لوزارات مثل العدلية والمالية والخارجية. وأصبح رئيساً للوزراء وهو الذي عقد معاهدة ١٩١٩ مع بريطانيا

واختار البريطانيون لهذه المعاهدة أسم المعاهدة البريطانية من أجل تقدم إيران ورفاهها(أحمد، ١٩٨٥، ص١١٧).

كان هدف بريطانيا من وراء عقدها لهذه المعاهدة هوالاستفادة من موارد إيران الاقتصادية، والسيطرة التامة على القوات المسلحة الإيرانية وجعل الأسلحة والأعتدة بريطانية المصدر، وإغراق إيران بالمستشارين البريطانيين الاقتصاديين والعسكريين ومنحهم الحصانة الدبلوماسية، وكان من أهداف بريطانيا أيضاً ربط إيران اقتصادياً بها من خلال تقديم القروض والمساعدات لها بفوائد عالية وتكون مبالغ ودخل الكمارك الإيرانية ضماناً للقروض البريطانية الى إيران، أي أن بريطانيا حاولت رهن مقدرات إيران الاقتصادية ومواردها من المنافذ الحدودية والكمركية لصالحها (Ramazani, 1973, PP.160-161).

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية ما تخطط له بريطانيا من أهداف من وراء عقدها لمعاهدة التاسع عشر من آب ١٩١٩ مع إيران، فكان عليها أن تتحرك بسرعة لمنع عقد هذه المعاهدة في المجلس النيابي لإيراني وتحريض الشارع الإيراني للخروج بمظاهرات حاشدة ضد حكومة وثوق الدولة التي وقعت هذه المعاهدة الجائرة وغير المنصفة(F. R. U. S., 1919 – 1920, No.211, From : Washington, To : Iran, 22/8/1919). استغلت الإدارة الأمريكية عرض المعاهدة على المجلس النيابي الإيراني (F. R. U. S., 1919 – 1920, No.211, From : Washington, To : Iran, 22/8/1919). لكي يوافق عليها في عدمها فطبقاً للدستور الإيراني فإن أي معاهدة تبرمها إيران مع أي دولة خارجية يجب أن تعرض على المجلس للتصويت عليها أو رفضها، ونتيجة للحرب العالمية الأولى وتحول الأراضي الإيرانية الى ساحة للقتال ودخول القوات الأجنبية الى إيران(البرام،

٢٠٠٦، ص ١٠-٢٥)، فقد كان المجلس الإيراني معطلاً، وكان وثوق الدولة رئيس الوزراء بهيا مستلزمات انتخابات المجلس في دورته الرابعة، وكانت التيارات والأحزاب السياسية ما بين الراغبة في إجراء الانتخابات وأخرى ترى أن الوقت غير مناسب لإجرائها، فأخذت الولايات المتحدة الأمريكية بالتحرك على بعض المعارضين لإجراء الانتخابات من أجل القبول بعقد جلسات المجلس من خلال إجراء الانتخابات العامة(زنجاني، ١٣٧٦ش، ص١٣٥ – ١٣٦).

كان الحزب الديمقراطي أكثر الأحزاب الإيرانية المؤثرة في الساحة السياسية، إلا أن هذا الحزب كان منقسماً على نفسه، ما بين من وافق على إجراء الانتخابات النيابية وما بين من كان رافضاً لها، فتحرك الأمريكيون على العناصر الرافضة لإجراء الانتخابات وطلبوا منهم التحول الى خندق الموافقين على إجراء الانتخابات من أجل عدم تمرير معاهدة آب ١٩١٩، وبالفعل نجحوا في كسب هؤلاء بوسائل عدة كان من بينها أن عدم إجراء الانتخابات سيؤدي الى استغلال وثوق الدولة لسلطته وتمرير المعاهدة (F. R. U. S., 1919 – 1920, No.310, From : Washington, To : Iran, 23/8/1919).

وتحركت الولايات المتحدة الأمريكية على عدد آخر من السياسيين الإيرانيين من أجل الموافقة على إجراء الانتخابات وانتظام عقد المجلس النيابي للنظر في معاهدة ١٩١٩، وبالفعل نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في جهودها في هذا المجال، ولم تكتف بذلك، بل تحركت دبلوماسيتها في طهران بالعمل بين صفوف الطلبة الجامعيين وحرضتهم على الخروج بتظاهرات منددة بالمعاهدة ووضفوا وثوق الدولة رئيس الوزراء بخيانة البلاد لصالح بريطانيا (F. R. U. S., 1919 – 1920, No.310, From : Washington, To : Iran, 24/8/1919). كما اتصل بعض الدبلوماسيين

الأمريكيين بأحمد شاه فاجار(الربيعي و العابدي، ٢٠١٢، ص٥٣ – ٥٧) وطلبوا منه رفض المعاهدة التي تمس البلاد واستقلالها وأن وثوق الدولة رئيس الوزراء قد باع إيران لصالح بريطانيا بثمن بخس، ولم تنجح محاولات رئيس الوزراء الإيراني ووزير الخارجية (نصرت الدولة) في التأثير على الشاه من خلال اصطحابه في زيارة رسمية الى لندن، وجرى في العاصمة البريطانية استقبال حافل له، عدد من السياسيين البريطانيين أمثال اللورد كرزون وزير الخارجية البريطاني ألقوا كلمات ترحيبية بالشاه الإيراني من أجل كسب موافقته لكن أحمد شاه لم يتأثر بذلك وكان مصراً على موقفه بسبب التأثيرات الأمريكية عليه، فانزعج وزير الخارجية (نصرت الدولة) وغادر لندن الى باريس تاركاً الشاه في العاصمة البريطانية(بيكرلي، ١٤٠٠ش ، ص٥٧).

وعلى صعيد معارضة الولايات المتحدة الأمريكية لمعاهدة ١٩١٩ بدأت الدبلوماسية الأمريكية في طهران بالتحرك على صحف المعارضة للتنديد بمساوئ المعاهدة وانعكاساتها الخطيرة على إيران وسلب حريتها واستقلالها وكشف أسرارها التي لم تعلنها حكومة وثوق الدولة. فمما نشرته الصحافة الإيرانية في تلك المدة ((أن معاهدة التاسع عشر من آب ١٩١٩ تحول إيران الى محمية بريطانية، وأن استقلال إيران أصبح ألعوبة بيد حكومة لندن)) (أصفهاني، ١٣٧٦ش، ص٨٥ – ٩٠). ونشرت الجرائد الإيرانية مقالات عنيفة ضدها وضد كل من يقف ورائها، فعل سبيل المثال لا الحصر نشرت جريدة (رعد) الطهرانية مقالاً بعنوان ((خيانت وثوق الدولة)) أكدت فيه أن رئيس الوزراء الإيراني قد ((استلم رشوة مقدارها ١٣٠.٠٠٠ جنيه استرليني* (محمد، ١٩٩١، ص٦٦) لقاء توقيع معاهدة ١٩١٩))،

* أي ما مقداره (٥٢٠.٠٠٠) دولار

وعدت جريدة أخرى أن وثوق الدولة هو (جاسوس لبريطانيا) وطالبت بمحاكمته وإنزال أقصى العقوبات بحقه لأنه باع إيران لدولة أجنبية دون أن يراعي مصالح بلاده نهائياً(أحمد، ١٩٨٥، ص١١٨ – ١١٩).

ولم تتردد الولايات المتحدة الأمريكية عن دعم بعض الجمعيات السرية التي أسسها الإيرانيون من أجل مقاومة معاهدة ١٩١٩ مثل جمعية (مجازات) التي انتهجت سياسة اغتيال (محبي الإنكليز) وقررت ضمن أولوياتها اغتيال رئيس الوزراء الإيراني الذي وقع المعاهدة وثوق الدولة في أقرب فرصة تتاح لها.

بالمقابل حاولت بريطانيا إقناع أحمد شاه بقبول المعاهدة وعدم رفضها مبدئياً، فحرضت وثوق الدولة عليه لكي يؤكد له أن عليه عدم التدخل في صلاحيات رئيس الوزراء، وأن عليه إذا كان شجاعاً أن يعلن ضرورة خروج كافة القوات الأجنبية من إيران، وعرضت بريطانيا عليه منحه مبلغ قدره (٢٠) ألف تومان كميزانية للبلاط، ولكن أحمد شاه، حسبما قال البريطانيون طلب أكثر من هذا المبلغ، فرفضوا ذلك، لكن تدخل السفير البريطاني في إيران برسي كوكس وتأكيده لمراجعه العليا ((أن الأوضاع العامة غير اعتيادية في إيران، وعلينا إرضاء أحمد شاه لأننا بحاجة الى وجوده)) (F. O., 371/22131, From : P. Cox, To : F. O., 25/8/1919, P.182)، فوافقت بريطانيا على منحه هذا المبلغ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية حرضته على رفض المبلغ البريطاني لأنه سيكون ثمناً لموافقته على المعاهدة(العبدلي، ١٩٧٩، ص١٨٨).

وعندما هيأ وثوق الدولة مستلزمات إجراء الانتخابات في إيران قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتحشيد القوى السياسية الإيرانية للمشاركة فيها وإيصال العناصر

الرافضة لعقد المعاهدة الى المجلس النيابي الإيراني، فأجريت الانتخابات في طهران فقط، ولم تجر الانتخابات في بقية المدن الإيرانية بسبب الاضطرابات والمظاهرات التي كانت تجري فيها ضد عقد المعاهدة، ولم يكن بإمكان حكومة وثوق الدولة السيطرة على الأوضاع العامة في البلاد بسبب التظاهرات الحاشدة في هذه المدن الداعية الى إسقاط حكومة وثوق الدولة، وتزامن ذلك مع قيام الصحافة الأمريكية بالكتابة عن خطورة معاهدة ١٩١٩ وكونها تقيد إيران بقيود ثقيلة وتسعى بريطانيا من خلالها لجعل إيران مرتكز لها في منطقة الخليج العربي، وتمنح شركاتها النفطية مزيداً من الأرباح على حساب الإيرانيين(كارتوزيان، ١٩٨٤، ص٦٠).

وبمرور الوقت كان التحرك الأمريكي ضد عقد المعاهدة البريطانية – الإيرانية يتصاعد، فأخذ الدبلوماسيون الأمريكيون بإثارة الشارع الإيراني شيئاً فشيئاً، ونما تيار معاد للمعاهدة حتى قبل الاطلاع على بنودها، واتخذ التحرك الأمريكي على مشاعر الإيرانيين مظاهر عدة، فقد انفجرت في طهران ومدن إيرانية أخرى تظاهرات واعتصامات عدة تندد بالبريطانيين والسلطة الحاكمة في البلاد، ونشطت أقلام الكتاب والشعراء في ذكر خطورة توقيعها وتنفيذها(أحمد، ١٩٨٥، ص١١٨ – ١١٩)، وأطلق الشعراء حناجرهم في اجتماعات جماهيرية عدة في انتقاد المعاهدة وذمها، وانتحر عدد من الضباط احتجاجاً على عقدها، فعلى سبيل المثال لا الحصر انتحر الكولونيل (فضل الله خان آقا قلي) احتجاجاً على المعاهدة وقال أن توقيع هذه المعاهدة خيانة لكل تضحيات الجيش الإيراني الذي سيصبح بعد المعاهدة رهينة بيد الضباط والمستشارين البريطانيين (F. R. U. S., 1919 – 1920, No.211, From .: Iran, To : Washington, 26/8/1919).

وعندما حاولت بريطانيا القيام بانقلاب يعوضهم عن المعارضة الشديدة لمعاهدتهم مع إيران بقيادة جعفر قلي خان سردار أسعد* (أســعد و الجــاف، ٢٠١٠، ص ٤٠)، وجرت مفاوضات سرية معه، كشفت الدبلوماسية الأمريكية طبيعة هذه المفاوضــات للرأي العام الإيراني الذي رفض ذلك لأن الأمريكيين كشفوا أيضاً أن سردار أســعد التقى بالسفير البريطاني في إيران برسي كوكس، وقرر الأخير تكليفه بهذه المهمــة التي ((ستكون بديلاً عن عقد المعاهدة التي أثارت جدلاً كبيراً لــدى الــرأي العــام الإيراني، وما قام به الدبلوماسيون الأمريكيون من تحريض لقطاعات واســعة مــن الإيرانيين الذين لا يعلمون مصالح بلادهم والمستقبل الذي ينشده لهم البريطانيون)) على حد قول برسي كوكس (F. O., 371/25311, From : P. Cox, To : F. O., 30/8/1919, P.187).

بالمقابل طرح بعض السياسيين الإيرانيين ضرورة الاستفادة من الولايــات المتحــدة الأمريكية كقوة ثالثة في هذه الفترة الحرجة من تاريخ إيران السياسي، للتوازن بــين القوتين المتنافستين في إيران وهي بريطانيا وروسيا السوفيتية* (السنوسي، ١٩٩١، ص١٥٣)، وطرح هؤلاء بفعل تأثرهم بالدعاية الأمريكية، لاسيما بمبادئ الــرئيس الأمريكي ودرو ولسن فكرة أن الولايات المتحدة الأمريكية ((داعية للحرية ولحقوق الشعوب المضطهدة والخاضعة للسيطرة الأجنبية))، لذلك يجب أنقــاذ إيــران مــن مخالب البريطانيين والروس عن طريق اللجوء الى الولايــات المتحــدة الأمريكيــة

* أحد المغامرين الإيرانيين الذين حاولوا تسنم الحكم أكثر من مرة بواسطة بريطانيا، إلا أنه لم ينجح في ذلك لأنه كان زعيماً عشائرياً وليس عسكرياً كما هو الحال بالنسبة لرضا خان الذي كان قائداً لفرقة القوزاق الإيرانية وقام بانقلابه في ٢١ / شباط / ١٩٢١.

* لم تسمى روسيا بعد قيام الثورة البلشفية فيها باسم الاتحاد السوفيتي الا في عام ١٩٢٢ وكانت تسمى روسيا السوفيتية.

وجعلها قوة موازنة بين الدولتين المتنافستين على إيران والحصول على مساعدتهم من أجل إعادة الأوضاع المستقرة الى البلاد(علي، ١٩٩٨، ص١٦٨-١٦٩).

عد بعض المؤرخين أن أقوى معارضة لمعاهدة آب ١٩١٩ جاءت من الولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد الخارجي، ولم تكن هذه المعارضة نابعة من حرص الولايات المتحدة الأمريكية على مصالح الإيرانيين ومنعهم من الوقوع في فلك السياسة البريطانية وأحابيل منظويها ودبلوماسيها المحنكين في الشرق الأوسط، بل أن الولايات المتحدة الأمريكية التي اتسم موقفها بالقلق الشديد من المعاهدة كان بسبب أنها تتعارض مع مصالح الشركات النفطية الأمريكية واحتكاراتها الرأسمالية التي كانت تسعى للحصول على امتيازات نفطية في شمال إيران، وأن وجود هذه المعاهدة البريطانية – الإيرانية سيؤدي الى منع الشركات الأمريكية النفطية من الحصول على موطئ قدم في نفط شمال إيران، فكانت هذه الشركات الأمريكية تضغط على صانع السياسة الأمريكية من أجل منع توقيع المجلس النيابي الإيراني عليها (Born, 1990, P.125).

اعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا لأنها عقدت المعاهدة مع إيران عبر مفاوضات سرية، وأن ذلك يتعارض مع مبدأ ((الدبلوماسية العلنية)) التي طالب بها الرئيس ولسن في مبادئه الأربعة عشر، ودون أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الشركات النفطية الأمريكية في هيمنتها على المناطق الشمالية من إيران واحتكارها لنفط الأخيرة دون إشراك أي شركة نفطية أمريكية في حين أن الولايات المتحدة الأمريكية حليف أساسي لها في الحرب العالمية الأولى، كما أكد وزير الخارجية الأمريكي روبرت لانسنغ (R. Lansing) استياء بلاده من عقد هذه

المعاهدة لأنها تتعارض مع سياسة (الباب المفتوح) (Open Door) * (الكيالي، بلا تاريخ، ص٩٨) الذي كانت تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى في مجال السياسة النفطية، وكانت الإدارة الأمريكية تقصد به هو فتح أبواب المناطق الخاضعة للدول الكبرى مثل إيران التي كانت محتلة من قبل بريطانيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، أمام شركات النفط الأمريكية(مراد، ١٩٩٢، ص١١١).

وأمعاناً في رفض الولايات المتحدة الأمريكية لمعاهدة ١٩١٩ التي تؤثر على مصالحها المتنامية في الشرق الأوسط ومنها إيران طلبت الإدارة الأمريكية من سفيرها في طهران إبلاغ السفير البريطاني برسي كوكس بأن ((حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ترفض تقديم أي مساعدة للحكومة البريطانية احتجاجاً على عقد المعاهدة)) (F. R. U. S., 1919 – 1920, No..211, From : The Government of United States, To : Tehrain, 20/9/1919).

كانت الشركات النفطية الأمريكية أكثر الجهات الأمريكية التي كانت تضغط على حكومتها من أجل منع عقد المعاهدة لأنها كانت تدرك أن تنفيذ بنود المعاهدة التي نصت على قيام الحكومة البريطانية تزويد إيران بالمستشارين الاقتصاديين والعسكريين والإداريين على أن تتحمل الحكومة الإيرانية نفقاتهم، وعلى تعاون بريطانيا مع إيران لتحسين نظم وطرق المواصلات مع الأخيرة، وكان ذلك يعني (حق) بريطانيا في إنشاء السكك الحديد والطرق المختلفة في إيران (Ramazani, 1972, P.153). كما نصت المعاهدة على تعهد بريطانيا بمنح إيران قرضاً قدره مليوني جنيه استرليني بفائدة مقدارها (٧%)، ويكون دخل الكمارك الإيرانية التي

* هو مصطلح سياسي استخدمه المسؤولون الأمريكيون لأول مرة سنة ١٨٩٩ عندما اجبروا الدول الكبرى الأخرى على فتح أبواب الصين أمام مصالح الولايات المتحدة الأمريكية

يشرف عليها مستشار اقتصادي بريطاني ضماناً لسداد هذا القرض(شـــويل، ١٩٨٥، ص١٤٩ – ١٥٠).

نشرت الإدارة الأمريكية بعد عقد بريطانيا المعاهدة مع إيران بياناً رسمياً أكدت فيـــه أنها تلفت باستغراب نبأ عقد المعاهدة وبأنها ترى أن الحكومة الإيرانية ((أصـــبحت في غنى عن تأييد الولايات المتحدة الأمريكية ومساعدتها)) لأنها اعتمـــدت علـــى بريطانيا دون أن تستشير سفيرها في طهران أو تعلم الحكومة الإيرانية بمفاوضـــاتها مع السفير البريطاني برســـي كـــوكس (F. R. U. S., 1919 – 1920, No.215, From : The Government of United States, To : Tehrain, .22/9/1919.)

أخذت السفارة الأمريكية في طهران تشجع السياسيين الإيرانيين وعدد من الصحفيين لتكثيف جهودهم من أجل تهيئة أذهان الرأي العام الإيراني لرفض المعاهدة، وبالفعل تجمعت أعداد غفيرة من المتظاهرين أمام مقر الحكومة الإيرانية في طهران، وفـــي باحة مجلس النواب الإيراني وطالبوا بإسقاط المعاهدة والحكومـــة الإيرانيـــة التـــي وقعتها، ورفع المتظاهرون شعارات من قبيل (إيران مرد) " إيران ماتت" وكـــانوا يعنون أن إيران إذا ما وقعت هذه المعاهدة فإنها ستحفر قبرها بيدها، الأمر الذي دفع الأوساط الدبلوماسية البريطانية في طهران أن تعتقـــد أن الســـفارة الأمريكيـــة فـــي العاصمة الإيرانية هي التي كانت وراء بعض التظاهرات الطلابية التي خرجت منددة بالمعاهدة البريطانية – الإيرانية : (F. O., 3671/21315, From : P. Cox, To : .F. O., 15/1/1920, P.35)

تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل دبلوماسيتها النشطة في إيران أن تؤثر على الرأي العام الإيراني بشكل مباشر وغير مباشر، فقد حشدت قطاعات واســـعة مـــن

الإيرانيين ضد رئيس الوزراء وثوق الدولة، وعندما خرجت المظاهرات ضده كانت تطالب باستقالة حكومته، وكان لعدد من السياسيين الإيرانيين موقفهم المعارض للمعاهدة، وبدأ هؤلاء بتوجيه نقد قاسي لوثوق الدولة، فقد خاطبه الشاعر (عشتي زادة)، بالقول : ((أن بلاد إيران ليست من ممتلكات أبيك)) (رحيمي، ١٣٧٢ ش، ص٥٥)، وضمن السياق نفسه خاطب السياسي الإيراني المستقل (دولت آبادي) رئيس الوزراء وثوق الدولة قائلاً : ((أنه ليس هناك ثمة خطأ في بنود المعاهدة، فالخطأ يتعلق بالمعاهدة نفسها)))(Katouzian, 1979, P.537 .

اتجهت المعارضة الأمريكية للمعاهدة من كونها تستهدف حماية المصالح البريطانية فقط دون أن تأخذ بنظر الاعتبار المصالح الغربية، لاسيما مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك كانت الدبلوماسية الأمريكية تدعم المعارضة الإيرانية ودعتها لمعارضة المعاهدة والسعي لاسقاطها في مجلس النواب، وكلما كانت أيام عقد مجلس النواب تقترب للنظر فيها كانت المعارضة الداخلية الإيرانية تزداد أكثر فأكثر، فانطلقت حركات داخلية في طهران وتظاهرات في مدن أذربيجان وكيلان وغيرها من المدن الإيرانية الأخرى) F. R. U. S., 1919 – 1920, No.215, From : (Iran, To : Washington, 22/3/1920).

وفي الوقت الذي أثرت فيه الدعاية الأمريكية على الرأي العام الإيراني وعبئته ضد معاهدة آب ١٩١٩، فإنها جعلت الرأي العام الإيراني يتأثر بمبادئ الرئيس الأمريكي ودرو ولسن الأربعة عشر، فأخذ بعض السياسيين الإيرانيين بالدعوة للاستفادة من هذه الدولة الكبيرة والقوية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ووصفتها السياسيون الإيرانيون أنها ((تراعي رغائب الشعوب)) و((تعارض استغلال رأسمالية وحكومات أوربا للمستعمرات)) (أحمد، ١٩٧٨، ص٦٤) والدول المحتلة مثل إيران.

لم يدرك السياسيون الإيرانيون، إلا في وقت متأخر، أن بنود الرئيس الأمريكي الأربعة عشر التي تعاطفوا معها واستهوتهم ليست سوى مناورات سياسية، وأن هذه البنود صيغت بإسلوب عاطفي يغازل مشاعر الشعوب وتطلعاتها، وتستهدف مصلحة الأمريكية بالدرجة الأساس، وأنها لا تختلف عن توجهات الدول الاستعمارية الأخرى، وأن الدعاية الأمريكية هي التي جعلت الشعوب مثل إيران تعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست لها مصالح في بلدانها، ويكفي أن نذكر أن الرئيس الأمريكي لم يكن صاحب فكرة إنشاء عصبة الأمم(النجار، ١٩٩١، ص٦٣ – ٧٠) التي تكلفت بحل مشاكل الدول ونزاعاتها بعد الحرب العالمية الأولى(أحمد، ١٩٨٧، ص ٥٠).

أن الدور الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية في معارضة معاهدة آب ١٩١٩ خارجياً وضغطها على الرأي العام الإيراني الداخلي نجح في إفشال تحرير المعاهدة في المجلس النيابي لإيراني في حزيران ١٩٢٠، وأدى الى أن تذهب جهود البريطانيين سدى في جعل إيران محمية لهم، وبدأ البريطانيون بعد فشل عقد المعاهدة بالتفكير جدياً بإيجاد ترتيب آخر بدلاً عنها لأن الوضع الداخلي بات يهدد النظام القاجاري بأسره، وخشوا من سقوط الشاه أحمد قاجار والأسرة القاجارية، وكان الترتيب الذي وضعوه هو القيام بانقلاب عسكري في إيران لصالحهم ويصب في مصلحتهم كلياً (F. O., 371/16949, The Future of Persia, October, 1931, Pp.2 – 14).

الخاتمة :

بإمكان المعلومات التي وردت في البحث أن تؤكد لنا أن بريطانيا بذلت كل ما بوسعها من أجل أن لا تصل مطالب الإيرانيين المشروعة الى مسامع الزعماء ودول الحلفاء في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ لأن من شأن ذلك أن يؤثر على استراتيجتها الجديدة في هذا البلد الشرق أوسطي والذي كان يشكل أهمية استثنائية لبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى لاعتبارات عدة أبرزها موقعه الجيو – سياسي وثرواته الواسعة التي يقف النفط على رأسها، كونه دولة حاجزة (Buffer State) بين روسيا، ومن ثم الاتحاد السوفيتي لمنعها من التأثير على الوجود البريطاني في الهند، فضلاً عن منع الروس من الوصول الى منطقة الخليج العربي.

كما دلل البحث على أن الدول الكبرى هي التي قررت مصير الدول الصغرى والتي لم تشترك فعلياً في الحرب العالمية الأولى، وأن تحولت أراضيها الى ساحة حرب وقدمت خسائر بشرية ومادية، وأن هذه الدول مثل إيران انخدعت بمبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الأربعة عشر، ومنها حق تقرير المصير، ولم تدرك أن هذه المبادئ هي مجرد صيغة عاطفية لخداع الشعوب ولا يمكن للدول الكبرى أن تطبقها لأن ذلك يعني تخليها عن سياستها الاستعمارية القائمة على استعباد الشعوب ونهب خيراتها الاقتصادية.

إن أحد أبرز الدروس التاريخية التي يمكن استنباطها من البحث هو أن التعويل على العامل الخارجي لا يمكن أن يحقق للشعوب أهدافها وطموحاتها، ويجب الاعتماد على العامل الذاتي لأنه هو الأساس في حركة التاريخ الصاعدة الى الأمام، ولذلك كان من الطبيعي أن لا يحقق الوفد الإيراني ما كان يصبو إليه من حضور مؤتمر السلام في

باريس لأن الدول الكبرى كان يهمها مصالحها ولا تنظر للشعوب الضعيفة مثل إيران في تلك المرحلة التاريخية من حياتها السياسية.

والدرس الثاني المهم أيضاً أن الشعوب أقوى من الحكام المرتشين والمرتبطين بالأجنبي، وقادرة على إسقاط الحكومات العميلة، كما هو الحال حينما أسقط الرأي العام الإيراني حكومة وثوق الدولة التي وقعت معاهدة آب ١٩١٩، وأسقطت معها ما كانت تنشده بريطانيا من وراء عقدها هذه المعاهدة الجائرة التي لو قدر لها أن تنفذ لأصبحت إيران (ضيعة) في يد بريطانيا تحركها كيفما تشاء لكن حركة الشعوب الإيرانية أسقطت المعاهدة وأسقطت الحكومة التي وقعتها الى الأبد.

أما الدرس الآخر المستلهم من البحث فهو أن الدول الكبرى لا تهتم سوى بمصالحها، لذلك فإن وقوف الولايات المتحدة الأمريكية الى جانب الإيرانيين ورفضهم لمعاهدة ١٩١٩ لم يأت اعتباطاً أو من أجل مصلحة إيران، بل كان نابعاص من حرصها على مصالح شركاتها النفطية الاحتكارية التي كانت تبحث عن موطأ قدم لها في النفط الإيراني والذي أثبتت التحريات الجيولوجية وجوده على امتداد الأراضي الإيرانية، لذلك فإنها لم تكن ترغب في أن تستأثر الشركات البريطانية، لاسيما شركة النفط الأنكلو – إيرانية في اكتشاف وإنتاج وتصدير النفط الإيراني لوحدها دون أن تفسح المجال لأي شركة أمريكية بمنافستها في الحصول على امتيازات نفطية داخل إيران، فكان النفط والموقع الجيو – استراتيجي لإيران دافعاً مهماً في اعتراض الإدارة الأمريكية على عقد معاهدة آب ١٩١٩ ودورها المؤثر في إفشال تصديقها في المجلس النيابي الرابع الذي عقد جلسته لهذا الغرض في حزيران ١٩٢٠.

المصادر

أولاً: الوثائق البريطانية غير المنشورة

-وثائق وزارة الخارجية Foreign Office : F.O

F.O., 371/3858, From : Earl Curzon, To: Perey Cox, 11/1/1919.

F.O., 371/2521, From: Earl Curzon, To : Percy cox, 15/1/1919.

22131,From: p.cox,To : F.o., 25/8/1919./F.O., 371

F.O., 371/25311, From: p.cox, To : F.o, 30/8/1919.

F.O., 371/21315, From: p.cox, To : F.o, 19/1/1919.

F.O., 371/16949, The Future of Persia, Oetober,1931.

ثانياً: الوثائق الامريكية المنشورة

Foreign Relations of United States G.R.U.S

F.R.U.S., 1919-1920, No.211, From : Washington, To: Iran, 22/8/1919.\

F.R.U.S, 1919-1920, No. 310, From: Washington, To: Iran, 23/8/1919.

F.R.U.S., 1919-1920, No.211, from: Iran, To: Washington, 26/8/1919.

F.R.U.S., 1919-1920, From: the Government of United states , To: Tehrain, 22/9/1919.

F.R.U.S., 1919-1920, No.215, From: Iran, To: Washigton, 22/3/1920.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة

ابو مغلي، محمد وصفي، (١٩٨٢): نتائج الحرب العالمية الاولى وانعكاساتها السلبية على ايران ، البصرة.

ابو مغلي، محمد وصفي، (١٩٨٣): الاحزاب والتجمعات السياسية ١٩٠٥-١٩٨١، البصرة.

أحمد، كمال مظهر، (١٩٧٨): أضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، بغداد.

أحمد، كمال مظهر، (١٩٨٥): دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد.

الايوبي، هيثم وآخرون، (بلا تاريخ): الموسوعة العسكرية ، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

البديري، خضير، (٢٠١٠): موسوعة الشخصيات الايرانية في العهدين القاجاري والبهلوي، بغداد.

تشرشل، ونستون، (بلا تاريخ): مذكرات تشرشل، ج١، منشورات مكتبة المنار، بغداد.

الجاف، ديمن حسن كريم، (٢٠١٠): سردار اسعد ودوره السياسي في ايران، السليمانية.

جوستورك، (١٩٧٤): أزمة الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية ونفط الشرق الاوسط، بيروت.

خالد، علاء محمد ، (١٩٩١): دور شركات النفط الانكلو – ايرانية في ايران، بلا.

ديبورن، جي. ، (بلا تاريخ) الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

الربيعي، محمد كامل و العابدي، رزاق كردي، (٢٠١٢): أضواء على التاريخ الحديث والمعاصر لايران، بغداد.

الربيعي، محمد كامل، (٢٠٠٤): ايران في سنوات المحنة، بغداد.

سترنك، وليم، (١٩٨٣): الأحواز في سنوات الحرب العالمية الاولى ، ترجمة: د. عبد الجبار ناجي، البصرة.

سلمان، عبد الهادي كريم، (١٩٩٧): قوة جنوب فارس ودورها في ايران ، بغداد.

السنوسي، مالك ، (١٩٩١): تطور الاتحاد السوفيتي، بلا.

شويل، فوزي خلف، (١٩٨٥): ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، البصرة.

الصراف، وسيم، (١٩٩١): روسيا بعد ثورة اكتوبر، بلا .

العبدلي، أحمد عبدالله ، (١٩٧٩): التنافس البريطاني – الامريكي على ايران ١٩١٨-١٩٢٩، بلا.

علي، الهام محمد ، (١٩٥٩): دور شركة النفط الانكلـــو – فارســـية فـــي الشـــرق الأوسط، بلا.

العلي، صالح محمد صالح (١٩٨٤): التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٣٥-١٩٤١) ، البصرية.

علي، هاشم محمد، (١٩٩٨): نظرية القوة الثالثة وتطبيقاتها في الشـــرق الاوســـط، قبرص.

فاسيليف، (١٩٩١): تطور الاتحاد السوفيتي ، ترجمة: دار التقدم، موسكو.

الكيالي، عبد الوهاب، (بلا تاريخ): مصطلحات سياسية ، بيروت.

لانفر، وليم، (١٩٨٠): موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة: د. عبد المنعم ســـعيد ، ج٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

لنشوفسكي، جورج، (بلا تاريخ): النشاطات الالمانية في ايران خلال الحرب العالمية الأولى، تعريب: أسعد الحمصي، بيروت.

محمد علي أحمد، (١٩٩١): العملات الايرانية ومقارنتها بالدولار ، بلا.

محمد، حسين عبدالله ، (١٩٩١): مبادئ الرئيس ولسن الاربعة عشر، البصرة.

مراد، خليل علي ، (١٩٩٢): ايران ، دراسة فـــي التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر، الموصل.

نجاتي، غلام رضا، (بلا تاريخ): التاريخ الايراني المعاصر، ايران في العهد البهلوي، تعريب: عبد الرحيم الحمراني، بيروت.

النجار، خليل عبدالله، (١٩٩١): دور عصبة الأمم في حل النزاعات الدولية، بلا.

نديم، (١٩٦٧): شكري محمود ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤-١٩١٧، بغداد.

هيروتز، دافيد، (١٩٧٣): الامبريالية والثورة ، ترجمة: خليل سليم، بيروت.

الوندي، جلال عباس ، (١٩٥٦): ايران في الاستراتيجية البريطانية ، معاهدة ١٩١٩ انموذجاً، بلا.

رابعاً: المصادر الاجنبية

Afsher, G.R., (1969):Government and Politice of the Middle East , Princeton.

Afsher, R., (1970): the Foreign Policy of British Government toward Iran 1918-1939, London.

Browne, E.G.,(1960): The Persian Revolution, London.

Cykes, C.,(1936): Wassmuss ,the German Lawence, London.

Novo, John,(1970): Iran in War 1 , London.

Ramazani, R.K. ,(1973): Iran 1900-1941, New Jersy.

Sadeghi, Hossein Amir,(1977): Twentieth Century Iran, New York.

Upton, O.,(1980): Iran in 1914-1918, New York.

Wilber, D.N. ,(1950): The Foreign Policy of Iran , London.

Yapp, M.E., (N.D) Iran 1900-1921, New York.

Zian, H.Katou, (1976):Nationalist in Iran, London.

خامساً : المصادر الفارسية

اصفهاني، أكبر ، (١٣٧٦ ش): صحافت ايران در عهد قاجار، طهران.

اصفهاني، علي ، (١٣٧١ش): ايران در سال ١٢٩٧، طهران .

أوسطي، علي رضا، (١٣٧١ش): ايران وامتيازات أجنبي، طهران.

رحيمي، علي، (١٣٧٢ش): ايران در عهد أحمد قاجار، طهران.

زادة، غلام رضا، (١٣٧٣ش): نفط ايران در عهد قاجار ، طهران.

زنجاني، علي، (١٣٧٦ش): تعطيلات مجلس در ايران، طهران.

طهراني، خليل ، (١٩٧٣ ش): تحرك المان در ايارن في جنك أول، طهران.

مشكور، محمد جواد ، (١٣٧٢ش): ايران در علاقات سياسي انكليزي ، طهران.

سادساً: الدراسات والاطاريح الجامعية

البرام، عصام عبد الحسين، (٢٠٠٦): دور البرلمان الايراني (المجلس) في الحياة السياسية الايرانية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد.

سابعاً : البحوث والمقالات العلمية

كاتوزيان، همايون، (١٩٨٤): الاتجاهات الوطنية في ايران ١٩٢١-١٩٢٦، ترجمة: هاشم كاطع لازم، (الخليج العربي) ، (مجلة) ، العدد (١) ، المجلد (١٦) ، البصرة.

ثامنا : البحوث والمقالات العلمية الفارسية.

بيرلي، حسن, (١٤٠٠ ش): مهرخيانت بريشاني وثوق , (قلم يارت) (مجلة), العدد (٢٩), شهر مردار – يور , طهران .